العدد (4138) السنة الخامسة عشرة - الاثنين (19) شباط 2018
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

رحيل علي أبو شادي...
الناقد الضاحك

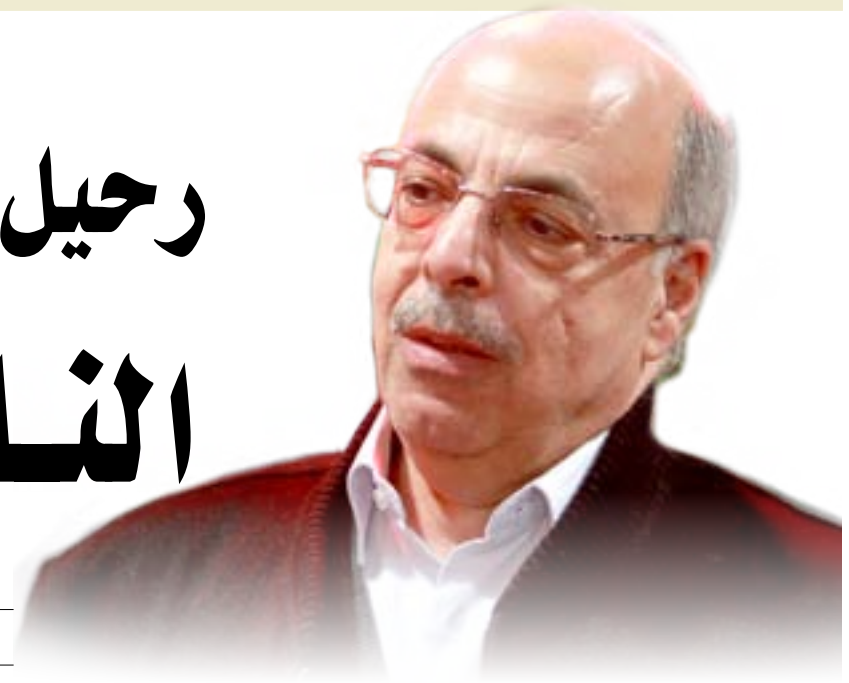

ندين جرجورة

ليس سهلاً الفصل بين أنماط العمل التي اختبرها المصري الراحل علي أبو شادي (١٩٤٦-٢٠١٨)، في مراحل مختلفة من التاريخ الحديث لمصر. فعلى الرغم من أن الصفة الأبرز له كامنةٌ في اشتغاله النقديّ، إلا أن وظائف عديدة له وضعته في مواقع متقدّمة في المشهد السينمائيّ المصري والعربي، وجعلته في مواجهة مباشرة مع مسائل عملية، كالمهرجانات والرقابة ومؤسّسات حكومية معنية بالشأنين الثقافي والفني.

فهو أمين عام "المجلس الأعلى للثقافة"، ومستشار في "صندوق التنمية الثقافية" للشؤون الفنية، ورئيس "قطاع الإنتاج الثقافي"، ورئيس "المركز القومي للسينما"، ورئيس مجلس إدارة "الهيئة العامة لقصور الثقافة"، ورئيس "الرقابة على المصنّفات الفنية"، وغيرها من المناصب الرسمية المتنوّعة.

كما أنه ليس سهلاً التغاضي عن جانبه الإنساني البحت، في سيرة ممتدّة على نحو ٤٥ عامًا، أخذته إلى الصحافة والنّقد، بعد تخرّجه من "جامعة عين شمس" (ليسانس آداب) و"المعهد العالي للنقد الفني . أكاديمية الفنون" (١٩٧٥)، ودفعته إلى مناصب رسمية مختلفة، اجتهد للتوفيق . فيها . بين مطالب الوظيفة الرسمية والتزامه جمالية الإبداع الفني والسجال الثقافي والنقد السينمائي، في بلدٍ منذور لحكم سياسي يميل، دائمًا، إلى العسكر.

لكن عَلي أبو شادي . المتمكّن من نصٍّ نقديّ يغوص في تاريخ عريق للسينما المصرية، أولاً، كما في مساراتٍ سينماتٍ عربية مختلفة، ثانيًا . يبقى أحد رموز جيل ثقافي عربيّ، انبثق نصّه السجالي من هزيمة حرب الأيام الستة (١٩٦٧)، وتفتّح وعيه النقديّ في المرحلة الفاصلة بين تلك الهزيمة و"حرب أكتوبر" (١٩٧٣)، مثابرًا على خوض معارك الإبداع والتأريخ، لصون بعض الذاكرة من الاندثار في فخّ النسيان، ولتحصين المُشاهدة والمعاينة اليومية في كتابات تؤرّخ وتُناقش، في النتاج والمواضيع وحركة الإنتاج، كما في الامتداد الطبيعي للنتاج السينمائي المتنوّع، في السياسة والاجتماع والعلاقات والانفعالات والمرويات والحالات.

لائحة أعماله طويلة، كعمرٍ أمضاه في سعي دؤوب إلى مواكبة التحوّلات المُختلفة في بلده والمحيط العربيّ تحديدًا، وفي اشتغالٍ فعّال يُعيد قراءة العمل، ويُقدّمه بلغة تختلف عن تلك التي تصنعها الصورة. فهو، بهذا، يصنع معادلاً مكتوبًا لنصٍ بصري، من دون أن يتغاضى عن إرثٍ غنيّ من الأعمال، في مصر والعالم العربيّ.

صحيحٌ إن غلبة السينما المصرية على كتاباته واهتماماته ومتابعاته واضحةٌ في مؤلّفات، يعود بعضها إلى "ماضي الحكايات الجميلة" و"انقلابات الأقدار" التي أفضت بالسينما المصرية إلى حالة ركود، قبل أن يهبّ سينمائيون عديدون إلى نجدتها، بتحقّيق أفلام أخرجتها من ركودها هذا، بإدخالها إلى وقائع العيْش اليومي للفرد المصريّ، ولأشيائه وتفاصيله وانفعالاته ورغباته وأحلامه وكوابيسه (الواقعية السينمائية الجديدة، في ثمانينيات القرن المنصرم). كما أن بعضها الآخر يواكب حركة تجديدية دائمة، منذ تسعينيات القرن نفسه لغاية الآن.

وصحيحٌ أن همومه الثقافية الأساسية منصبّة على الحراك الإبداعي في مصر، أفلامًا وأسئلةً وشخصيات (له كتابٌ ممتع عن الممثل الراحل كمال الشناوي، مثلاً) ومهرجانات (له فضلٌ كبيرٌ في إعادة النبض . السينمائي والجمالي والحيوي والفني . لـ"مهرجان الإسماعيلية للأفلام التسجيلية والقصيرة")، علمًا أن له كتابات عديدة عن السينما التسجيلية، من دون أن يتغاضى عن ارتباك العلاقة بين السياسة والمجتمع والمؤسّسات من جهة أولى، والاشتغال السينمائيّ من جهة ثانية.

لكن الصحيح أيضًا إن لعلي أبو شادي مكانة كبيرة في الجغرافيا العربية، لشدّة انهماكه في التواصل مع عاملين في شؤون الثقافة والفنون في تلك البلاد، ولشدّة اهتمامه بمزيد من المعرفة. هذا كلّه معطوفٌ على سماحة نفس، وبَراعة نكتة، وسرعة بديهة في إلتقاط اللحظة وتحويلها إما إلى نقاشٍ مفيد، وإما إلى جلسة ضحك ساخر وبديع.

ففي مناصبه واشتغالاته كلّها، حافظ علي أبو شادي على ابتسامة صادقة وضحكة عميقة إزاء ضغوط المهن والاجتماع والوظائف، كما إزاء متطلّبات الجسد بالراحة، خصوصًا بعد تعرّضه لأزمة قلبية، استفاد منها لاحقًا، بجعل سلوكه اليومي أكثر ارتباطًا بالضحك والسخرية والمرح.

– ناقد سينمائي لبناني

أبو شادي والإدارة الإبداعية

علاء المفرجي

التاريخ الطويل للسينما المصرية، والذي يقارب زمن اختراع هذه السينما منذ أواخر القرن التاسع عشر، والانتاج الضخم لها كان من الطبيعي أن يوازي ذلك حركة نقدية فاعلة وبروز عدد من النقاد الذين أصبحوا مع مرور الزمن روادا في هذا المجال، لا في السينما المصرية حسب، وإنما في الكثير من السينمات العربية التي انطلقت بعد السينما المصرية بفترات متفاوتة .. فقد احتل النقاد المصريين الصف الاول في المشهد السينمائي العربي، من خلال مؤلفاتهم ونتاجهم الابداعي الذي خاض في كل أنواع ومفاصل النقد السينمائي واسس لعملية النقد في العالم العربي. وريادتهم

فقد قدمت السينما المصرية خلال تاريخها رعيلاً مهماً من النقاد يشار اليهم في التميز والاختصاص: سمير فريد، كمال رمزي، محمود الكردوسي، محمود الزواوي، محمود قاسم... وآخرين.

ويعتبر الناقد الراحل علي أبو شادي من هذا الرهط من النقاد والذي يعد أحد أهم أيقونات النقد الفني السينمائي في مصر والوطن العربي، طيلة مسيرته النقدية والعملية العاتية بكل تفصيلاتها ، والتي قضاها في مضمار الحياة الثقافية والفنية كقيمة كبيرة يحتذى بها، استطاعت باقتدار إرساء دعائم التطوير الفني والنقدي فى المجال السينمائي، ذاك المجال الذي سيظل شاهدًا على عطاءاته وإنجازاته عبر أجيال.

وعلى الرغم من انشغالاته النقدية التي تمثلت بأكثر من ثلاثين مؤلفاً كتبها في مراحل حياته، والتي غطت مساحة ابداعية باكثر مفاصل السينما حيوية، من السينما التسجيلية التي كان لها موقع مهم في السينما العربية، الى كلاسكيات السينما المصرية باعتبارها الأعرق والأهم في مسيرة السينما العربية، والتي خصص لها ثلاثة مجلدات، وكان له رأي في الافلام السياسية وضعه في كتاب (السينما والسياسة) والذي كانت له أكثر من طبعة.. وفي كتاب (سحر السينما) الذي صدر عام ٢٠٠٦ يتوجه إلى جمهور غير المختصين في الشأن السينمائي ليقدم لهم مادة سهلة خفيفة من النواحي التقنية في الفن السابع، ويتناول ومراحل صناعة الفيلم السينمائي من الفكرة إلى الشاشة. والكتاب يقدم توطئة نظرية لا بأس بها للقارئ عن كيفية حدوث هذه العمليات الفنية. الكتاب مفيد أكثر للقارئ العادي.

فعلى الرغم من هذه الانشغالات التي كرست اسم أبو شادي، إلا أنه تمتع بميزة، من بين الكثير من النقاد المصريين إلا وهي مهاراته الإدارية في المؤسسات التي تدير شؤون الابداع فمن أمين عام المجلس الاعلى للثقافة، الى مستشار لوزير الثقافة، ورئيس الرقابة للمصنفات الفنية، ورئيس المركز القومي للسينما.

وكل هذه الوظائف ذات صلة مباشرة بالعمل الابداعي لتضيف لمسيرته الابداعية مهارات مضافة ساعدت عمل الكثير من هذه المؤسسات.

قضي أبو شادي معظم سنوات حياته عاشقاً للسينما ومدافعاً عنها، وسخر نفسه لكتابة النقد السينمائي فأبدع فيه..

برحيله تكون السينما المصرية والثقافة المصرية بشكل عام قد خسرت أحد رموزها الفاعلين.

حفظ للسينما وجهها

فجر يعقوب

رحل علي أبو شادي، وكل مافعله عبر سبعة عقود أنه وطّن فكره النقدي في كتبه كأسلوب عيش وحياة، وهنا يكمن الفارق بينه وبين نقاد عصره وجيله. لم يكن أبو شادي متسرعاً في إطلاق الأحكام من حوله. حتى تلك الأفلام التي سبغت بالرواج كعملة سائدة ومتحكمة بالسوق، وهي كثيرة في مسيرة السينما المصرية على أية حال، لم يتردد في وضعها في سياق تاريخي محدد وصارم، وتأجيج محاكماتها النقدية بروية وتعقل، والتذكير على الدوام أن هناك قمماً أيضا أنتجت ولم تكن أبداً في الهامش الذي يتيحه السائد المغشوش، وهذا ظهر جلياً في كتابه (أبيض وأسود) الذي خصصه لثمانية عشر فيلماً تعتبر من التحف التي ظهرت في أوقات متباعدة.

قد تبدو عملية الدخول في عناوين كتبه محاولة لتقديم التحية للناقد الكبير علي أبو شادي، وفي هذا ليس تغليباً على حياته التي تسلم فيها مهام إدارية كثيرة وحساسة في بلد كان يعيش على الدوام على وقع انقلابات سياسية وفكرية تضع من يكون في مثل هذه المواقع بين نيران مختلفة، ولكن أبو شادي استطاع أن يحفظ للسينما وجهها النقي، كما في كتبه، كذلك في مهامه الإدارية الجمة، وهو يدرك تماماً أن نيران هذه المدافع ستظل مصوبة نحوه، وقد شهد له كثر أنه ساند أفكاراً وأفلاماً ومقدمات وبديهيات خلال عمله في رقابة المصنفات الفنية ولم يكن بوسع أحد غيره فعل ذلك.

ستظل كلاسيكيات السينما المصرية عنوان مقدمة سينمائية لمرحلة جديدة قادمة، وهي تشهد بذلك على أن علي أبو شادي كان في صميم هذه الكلاسيكيات يقدم ويحلل للقارئ العادي، وللقارئ المتمكن على حد سواء مايضمن إمداده بكل مايلزم لاستنباط حساسية نقدية جديدة، حتى يمكن القول ببساطة إن أسلوب عيش وحياة الراحل في كتبه كانت تعني الكثير، الذي لايمكن اختصاره بعجالة من أي نوع.

– مخرج وناقد سينمائي فلسطيني

الراحل مع المخرج فجر يعقوب

الناقد السينمائي المتميز

مهدي عباس

فقدت السينما العربية يوم الجمعة الموافق السادس عشر من شباط واحداً من أعمدة النقد السينمائي في مصر والوطن العربي إلا وهو الناقد الكبير علي أبو شادي وهو أكبر خسارة في مجال النقد السينمائي بعد الراحل الكبير سمير فريد الذي غادرنا العام الماضي ،، في مكتبتي أكثر من عشرة كتب لهذا الناقد الكبير كان آخر كتاب أحصل عليه له هو كتاب (وقائع السينما المصرية في مائة عام) والذي أهدته إياي الدكتورة كوثر جبارة مشكورة ،،،

في كتاباته النقدية نراه كاتباً ذا عين ثاقبة في رصد الأفلام بالاضافة الى دقته في ذكر التواريخ والاسماء وهو جمع بالاضافة الى النقد السينمائي البحث والتأريخ السينمائي للسينما المصرية ..

الراحل مع الفنان عادل امام

الراحل مع الناقد كمال رمزي

عن رحيل الناقد السينمائي علي أبو شادي

أحمد ثامر جهاد

تعلمنا من كتاباته العديدة، معنى النقد السينمائي، وكيف ينبغي له يكون، موضوعيته وعمقه وأحكامه الدقيقة غير المنحازة. لم يكن من اليسير تغافل أهمية كتاباته النقدية في السينما العالمية وبحوثه الرصينة التي رصدت في مراحل عدة اتجاهات السينما المصرية، ناهيك عن كتابة تاريخها بقراءة شاملة. بعض تلك الكتابات، لاسيما التي فحصت كلاسيكيات السينما المصرية في مراحلها المختلفة، اتجاهاتها ولغتها وعلاقتها الشائكة مع السياسة والرقابة، ستبقى مراجع مهمة في دائرة البحث النقدي العربي.

في واحدة من أجمل الأوقات، كنت التقيته في تظاهرة سينمائية في البحرين عام ٢٠١٤ بمعية عدد من النقاد السينمائيين العرب. أمضينا أسبوعاً حافلاً بالحوار والجدل حول شؤون وشجون مختلفة، في الفن والأدب والسياسة وبالطبع السينما العربية، ماضيها وحاضرها، مهرجاناتها وفعالياتها وفاعلية ذلك كله ورياح الربيع العربي في غضون ذلك لم تضع أوزارها بعد، اتفقنا حيناً واختلفنا حيناً آخر، لكن على الدوام بمودة غامرة أظهرت لي انسانية الرجل وسعة تفكيره وخلقه الرفيع. وأزعم أن خصالا كتلك لن تتأتى للمرء ببساطة من دون أن تكون له تجربة حياتية واسعة وخبرة عملية، والأهم من ذلك، قدراً عالياً من المسؤولية الأخلاقية في التفكير، وتلك لعمري هي ثمرة ما خبره أبو شادي في مراحل حياتية مختلفة، شغل خلالها مناصب عدة وضعته أمام مسؤوليات جسام وطموحات حقة في خلق واقع مغاير: رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة لقصور الثقافة (١٩٩٩-٢٠٠١)، ورئيس المركز القومي للسينما (٢٠٠١-٢٠٠٨)، والأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠٧-٢٠٠٩)، ورئيس مجلس إدارة شركة مصر للسينما والإنتاج الإعلامي (٢٠١١-٢٠١٢).

ناقد سينمائي متمرس بمواصفات علي أبو شادي، بسعة انجازه البحثي والمهني، وقبل ذلك كله برحابة تفكيره وانسانيته سيكون راضياً عن شريط حياته الحافل بوجوه وأصدقاء، لن ينسون أبداً صورة الرجل وذكراه.

الراحل مع احمد ثامر

علي أبو شادي.. غياب عسير على التعويض..

عرفان رشيد

مات علي أبوشادي..

وقبله سمير فريد.. وقبلهما بشّار إبراهيم ومصطفى المسناوي وقصي صالح الدرويش وغسّان عبدالخالق، وغيرهم من الزملاء..

غيابات متلاحقة في بُرهة زمنية قصيرة تسبّبت في خسارات كبيرة وفراغات لا تعوّض في النقد السينمائي العربي وفي مجمل الثقافة السينمائية العربية.

وكسابقيه، انتمى علي أبو شادي إلى جيل النُقّاد الذين كوّنوا ثقافتهم، رؤاهم وبصيرتهم في فضاء أصيل بُني على أساس ما أنجزه كبار السينما العالمية والعربية، وأسهم في إضافة الكثير إلى السينما المنجزة في البلاد العربية، ليس عبر القراءة المتسرّعة والسطحية أو الراوية لقصّة أو حدّوتة الفيلم فحسب، بل المُبحرة في كنه المُنجز السينمائي والمرافقة له بُغية الوصول إلى المشاهد في الصالة أولاً وبالأساس.

إنّهم، هؤلاء النُقّاد، يُشبهون الشعراء الذين كوّنوا ثقافتهم وهذّبوا أداتهم الشعرية عبر الإبحار بين آلاف صفحات الكتب والدواوين وليس عبر ما تنشره الصحف من قصائد أو نقد.

رعيلٌ أول من النقّاد السينمائيين الذين قاربوا بين القارئ -المشاهد والفيلم السينمائي، وعبّدوا الطريق أمام أكثر من جيل من النقّاد ومن السينمائيين في البلاد العربيّة.

كان علي أبو شادي، منذ البدء وعلى مدى السنين، واحداً من رؤوس المثلّث النقدي المصري الأشهر والذي ضمّ، بالإضافة إليه، سمير فريد وكمال رمزي. ولعب الثلاثة دوراً هاماً للغاية في التعريف بالفيلم المصري الجديد والمُجدّدْ بالدرجة الأساس، وفي التعريف أيضاً بالمُنْجَز السينمائي العربي والعالمي.

وإذا كان سمير فريد، وبفضل آصرته مع مهرجانات السينما في العالم وحضوره المواظب لتلك المهرجانات، قد وسّع من دائرة فعله ليشمل التعريف بالسينما العالمية وبمُنجز السينمائيين العرب خارج الحدود المصرية، فقد ركّز علي أبو شادي وكمال رمزي فعلهما بالدرجة الأساس، (كما يظهر جليّاً من مؤلّفاتهما) على الفيلم المصري، وذهب علي أبو شادي، أبعد من ذلك قليلاً في الإسهام الفعلي عبر وظائفه الرسمية أو المُناطة إليه، في إدارة وتحريك البنية التنظيمية والإدارية لعالم السينما في مصر.

وتكفي مراجعة بسيطة لتلك الوظائف أو المهام لإدراك مقدار الجهد التنظيمي والإداري الذي كان يُخصّصه هذا الرجل من حياته من أجل السينما، مع الأخذ في الاعتبار مقدار تشكّل وتعقّد بعض من تلك المهام وصعوبة الإبحار فيها والذي كان يُشبه إبحاراً في بحر متلاطم الأمواج تجتاحه بين الحين والآخر عواصف ورعود مُرعبة.

وبصرف النظر عن مقدار الاقتراب أو الابتعاد الذي يشعر به العديد من السينمائيين المصريّين من مُنجز علي أبو شادي على الصعيد الإداري، فإن الفراغ الذي تركه، بغيابه قبل أيّام لن يُعوّض، وسيظل السينمائيون العرب الذين يرتادون القاهرة ومصر ومهرجاناتهما يفتقدونه، كما يفتقدون سمير وفريد وغيره من الزملاء الذين غادرونا.